

This item is provided to support UOB courses.

Its content may not be copied or emailed to multiple sites or posted to a listserv without the copyright holder's express written permission.

However, users may print, download, or email it for individual use for learning and research purposes only.

هذه الوثيقة متوفرة لمساندة مقرارات الجامعة.

ويمنع منعاً باتاً نسخها في نسخ متعددة أو إرسالها بالبريد الإلكتروني إلى قائمة تعميم بدون الحصول على إذن مسبق من صاحب الحق القانوني للملكية الفكرية لكن يمكن للمستفيد أن يطبع أو يحفظ نسخة منها لاستخدام الشخصي لأغراض التعلم والبحث العلمي فقط.

جامعة تونس الاولى
كلية الآداب

سلسلة الندوان
عدد 1

ندوة
القراءة والكتابة

نظمها قسم العربية أيام 30 مارس الى 2 ابريل 1982

تونس 1989

ومهما كان الأمر فقد «صدق الشاعر وكذب الدجالون» كما قال بعض أشخاص «حركات» (ص 68).

中
華
書
局

إنَّ هذه القراءة الشمولية التحررية من قيود المدارس الاحادية قد ألمت ببنية الكتاب ووظيفتها وعلاقتها ببنية المجتمع الذي أفرز رؤية خاصة للعالم ، كما ألمت بالأبعاد الفكرية والسياسية التي يرخر بها الكتاب ، إلى جانب تحليل للبعد النفسي المتعلق بتميز المثقف العربي بين قسمه وأوضاعه .

لكتها رغم شموليتها فقد اكتفت في بعض الأحيان بالإشارة عوضاً عن التحليل حتى لا يفرط البحث في الطول ، من ذلك أنَّ الجانب الغوي يحتاج وحده إلى دراسة ثبت الجمع بين المتناقضات الذي اتبناه عليه كاملاً الكتاب (الفصحي والدارجة واللغة الثالثة) . كما يحتاج الأسلوب المتأرجح بين الإيحاء والتقرير إلى تركيز خاصٍ . وبهاتين الزاويتين يكتمل التقدُّم الشمولي الرافض للتحجر والاستلاب والتبعية ، والمتفتح على جميع الاحتمالات الحادة .

مکیوڈ طرشونہ

المنهج الجدللي في تحليل القصص « جدلية الحكمة والسلطان »

نقاشی: توفیق پکار

النص - I :

مثل الأرنب والأسد

- ومن حيث وظيفته في حركة السياق - حكاية - برهان تزييد
الفكرة في مجرى الاستدلال .

ولكته :

- من حيث الدلالة - يغير طرف الصراع من ثالثي أول : دمنة -
شتربة إلى ثالثي آخر : أرب - أسد . ومع هذا التغيير يحدث تحوير في
طبيعة الصراع نفسه ؛ كان من قبيل التنافس على المناصب بين أفراد
الحاشية فأصبح تنازعاً للسلطة ذاتها بين « مفكر » المجموعة والملك . هكذا
تنبع أبعاد القضية فتجاوز حقيقة المثل حدود السياق المباشر لتنصب رأساً
في صميم موضوع كتاب كلبنة ودمنة وهو جدلية الحكم والسلطان
كما سيحاول التحليل أن يبين . فهذا المثل إذن صورة مصغرة من
القصة الأُم .

ب - بنية النص :

١) في العلاقة بين المثل وعنوانه :

بين العنوان والمثل الذي به يتسم علاقة مزدوجة كمية وكيفية . العلاقة
الكمية من جنس البلاعنة وتصل بين إيجاز وإطناب ، إيجاز العنوان
يعتزل في عبارته نص المثل مبنيًّا ومعنىًّا ، وإطناب المثل يحيط على مادي
نصه بما طواه العنوان . فهذا يُحملُ ما يسعى ذاك إلى تفصيله .

والعلاقة الكيفية من جنس المعرفة وتجمع بين سرّ وحقيقة . يضم العنوان
في باطنه حقيقة المثل شكلاً ودلالة فيشيء لغزاً يعمل المثل على فكه . ١

وبذلك يصبح انتقال التحليل عبر النص من العنوان إلى المثل تدرجًا
مزدوجاً من كليات إلى جزئيات ومن جهل إلى علم . ويختضن هذا
المسار لنطقي تعليمي مبدؤه الكشف بتصسيط عن حقيقة محجوبة ، على أن
هذه الحقيقة - في هذا النص - لا تكاد تكتشف ، حتى تصبح رمزاً ..

إليك وقد بعن عي لك بأرب . فلما كنت ههنا قريباً استقبلني أسد فأخذها
مني وقال : أنا أولى بهذه الأرض ووحوشها . فقلت له : إن هذه غداء
الملك أرسلت بها إليه الوحش فلا تخضنه . فغضب الأسد وقال : إنطلي
عي فاربني هذا الأسد . فانطلقت بالأسد إلى جبَّ ذي ماء صاف عميق
قالت : هذا مكان الأسد وأنا أفرق منه إلا أن تحملني في حصنك فلا
أخافه حتى أربكه . فاحتضنها الأسد وقدمته إلى الماء الصافي فقالت له :
هذا الأسد وهذه الأرب . فاطلع الأسد فرأى ظله وظلَّ الأرب في الماء
فلم يشك في قولها فوضع الأرب وولب لقتاله ففرق في الجبَّ وأفلت
الأرب وعادت إلى الوحش فأعلمتهنَّ صنيعها بالأسد .
(كلبنة ودمنة)

II - التحليل :

أ - المدخل :

لا بدَّ أولاً من تعين موضع النص في كتاب كلبنة ودمنة لا مجرد
التذكير بسياقه بل لاستجلاء حقيقة وظيفته في نظام تلك القصة .

١) في العلاقة بين المثل وسياقه :

يتسم « مثل الأرب والأسد » إلى « باب الأسد والثور » وقد ورد
على لسان دمنة في حوار اختلافي بينه وبين صاحبه كلبنة حول ضرورة
الشخص من شتربة بعد أن حظي - على حساب دمنة - بأرفع مرتبة في بلاط
الملك . وكان الصديقان يتداولان الحجة وضدتها في هذه القضية ثارة تجردinya
بلغة العقل وقارأة حسناً بضرب الأمثال .

ومن ثم فالنص :

- من حيث علاقته الشكلية بسياقه - قصة متولدة عن قصة ومندرجة
في إطارها .

باللعب على هذين التضادين من الدلالة مجاز - حقيقة ينصرف المثل في كتاب كليلة ودمنة إلى ظاهر وباطن . وسرعان ما ينجو هذا الزوج الجديد زوجا آخر من الأصدقاء : الهرل والجد إذ ظاهر المثل « هو » يتخذه « السخفاء » وباطنه « حكمة » يقتنيها « العقلاء » . وبين هذا الظاهر وذاك الباطن تلازم وثيق لأن المثل لم يتخذ ماهيته المجازية إلا لطبيعة غرضه ، فإنما بلاغة الاستعارة لخطورة المعنى وسذاجة النادرة الحيوانية لعمق الفكرة الإنسانية . فهو شكل للفلسفة ورمز الحكم . ولكن لماذا هذا التركيب المتضاد الذي يدل على الشيء بضدّه ؟

في العلاقة بين المثل والقراء :

يوظف المثل قيمته الإنسانية لأداء وظيفتين متناقضتين ولكنهما متكمالتان وهما الكشف والمحجب أو البوح والسر لأن الرمز لا يشي إلا بقدر ما يكتوم فهو في الوقت نفسه كثافة وشفافية ، باب ينغلق وينفتح .

الوظيفة الأولى تربوية تقتضيها حاجة الدعاوة إلى الحكمة والوظيفة الثانية إنقائية تطلبها ضرورة صون الحكمة .

الوظيفة التربوية :

يسقط اللهو على ظاهر المثل كالشرائط أملأا في اقتناص الأذهان الساذجة أو المهيّج العابثة لاقتراضها تدريجيا إلى دفائن الحكمة . فالمجاز يشخص أدق المعاني وأشدّها تجريدا في صور حسيّة يجعلها لسهولتها تناسب الأفهام البسيطة كما يجعلها بعجائبيها تروق أذواق الطالشين .

الوظيفة الإنقائية :

أو يكون اللهو إلهاء عن الحكمة وسترا لها دون أنفالار من قد يرتتاب فيها أو يخشاها من ذوي النفوذ . ففي الحكمة خطر على أصحابها .. وعلى أرباب المصالح فيقوم المجاز إذاك في المثل كالمحجّب يمنع من إدراك حقيقة

يحجب حقيقة أخرى لأن المثل - بطبيعته - لا يعطيها الحقيقة بل صورة مجازية منها . وهو أول ما يخاطبنا به العنوان .

2) في العلاقة بين عناصر العنوان :

يتركب العنوان من أربع كلمات يشهد لها تركيب إضافي . وعن هذه النسبة التحورية بين مضارف ومضاف إليه تولد نسبة نسبية بين شكل ومضامون .

الشكل :

« مثل .. » = عالمة قصص تتصلب في مدخل النص وتدل على شكل صياغته . وهو شكل شرقي قديم ورد علينا من الهند عبر فارس وظهر أول ما ظهر في أدبنا العربي مع كتاب كليلة ودمنة . وريشما يهفي لنا التحليل أن نجلو ماهيته كما تجسست في هذا النص يمكن أن نحدده - مبدئيا - بمفهومه المتعارف وقد وضع له منذ أن ترجم عبد الله بن المفعع الكتاب ومهّد له بمقدمة المشهورة بـ « باب عرض (أو غرض) الكتاب » .

في ماهية المثل :

المثل - اصطلاحا - حكاية يتخذ فيها الحيوان بدلا من الإنسان ودللا عليه . فتتبّني العبارة على الاستعارة بحيث يبعد ما بين الدال ومدلوله ويصبح المعنى إحالة على معنى ، فتفتح الدلالة على الدلالة رمزا تعبّر عنه من المجاز إلى الحقيقة ومن خيالات الحيوان إلى واقع الإنسان . فالمثل - في جوهره - صورة بلاغية لا تنطق بمعنى إلا أوثق باستر هو « معنى المعنى » على حد تعبير الجرجاني . والمثل - كالشعر في تحديد فاليري - « لغة خلال لغة » . في ذلك قيمته الإنسانية التي يستمد منها النص أدبيته .

هذا الشكل في ذاته بقي الشكل في علاقته .

في العلاقة بين ماهية المثل وطبيعة غرضه .

في قول القائل : «رأيت أسدًا» أي شجاعاً . فهـما صورة نموذجية لتناول الضعف والقوـة . تلك في حكم العادة طبيعة العلاقة بين الأربـب والأـسد . لكن وـاـو المطف ..

ج - منطق الترکيب :

تحت سطح النص ترکيب مقطعي واضح القسمات . وأهم من ذلك المقاديم معرفة المقطع الذي يتحكم في نظامها عبر التسلسل الخطوي للكلام .

ينفتح النص بسكون وينغلق بسكون معاكس .

السكون الأول : وضع قديم قد استتب دعامته هيبة الأسد على سائر الوحوش وعلامة استمراره تواتر التواسيخ : « إن أنسا كان . . وكان ما ب تلك الأرض . . إلا أن ذلك لم يكن . . »

والسكون الثاني وضع جديد قد انتصب ينقض الأول ويلغيه وأمارته انتهاء الصراع بمقتل الأسد فخلصت الوحش .

وَبَيْنَ السُّكُونِ وَالسُّكُونِ الْمُعَاكِسِ حِرْكَةٌ وَحِرْكَةٌ مُضَادَةٌ .

الحركة : تنتطلق من مؤتمر فتطور الوضع عبر المفاوضة نحو التقنيين والحركة المضادة : تبنيق مومؤامرة فتنضي بالوضع عبر المخادعة نحو التقويض . في الحركة عاهد الوحش الأسد علينا على الخضوع والتسليم وفي الحركة المضادة واطأت الوحش الأرنب سراً على التمرد والتحطيم . فشم

المقصد . يستطيع الفيلسوف طبعاً أن يخترق ذلك الحجاب لينفذ إلى ما وراءه من خفي المعاني وهو « الغرض الأقصى » ولكن السلطان قد لا يستطيع . أو يصير بدوره فيلسوفاً وإذا صار السلطان فيلسوفاً . لم يعد سلطاناً . فما كان مع الوظيفة الأولى حيلة لكسب الأنصار يصبح مع الوظيفة الثانية تمويهاً لغالطة الخصوم . فيبين الحكمة والقاريء يقف السلطان ولا بدّ لها من مراوغة هذا البلوغ ذاك ، ولا بدّ لها من « لغة جمع » تقول ولا تقول ولا يعرف « نحوها » إلا الفلسفه . فالحكمة في النظم الاستبدادية القديمة - والحديثة - « حزب سري » ، حزب « المضنوون به على غير أهله » ، بل « أهمية سرية » يتبدل أشياعها (ييدبا ، بربوزية ، ابن المفع) عبر العالم (الهنود ، فارس ، العرب) حقائق المعرفة بلغة خاصة خلال اللغة العامة وفق اصطلاح مضبوط .

وهكذا فالشكل في هذا النص هو أول حيز تعتقد فيه جملة المحكمة والسلطان .

« هذا الشكل فمتي الأكل ؟ » وهذا المثل فأين حكمته ؟ . . في ما تختت نه بقية عبارة العنوان .

المضمون :

... الأرب ... الأسد» فـكما اختصر العنوان في كلمة «مثل» شـكل النـص كذلك يختـرل مـضمونه أولاً في اسمـين : أرب - أسد وـهما من أـضداد الحـيوان بـينـهما من التـعارض في الفـصـيلة والـحـجم والـمـخلـق والـقـدر والمـصـير ما بـيـن قـاـصـم عـشـب وـأـكـل لـحـم ، وـصـغـير جـرم وـكـبـير جـثـة ، وـفـرـار جـيـان وـشـجـاع مـقـدـام ، وـبـهـيـمة مـخـفـرة وـسـبـع جـلـيل ، وـفـرـيـسة كـل صـيـاد وـصـيـاد مـفـتـرس . كـل شـيء في المـعـرـفة الـحاـصـلة يـفـرق بـيـنـهما حـتـى ضـرب بـهـما الـمـثـل عـلـى الـتـقـيـضـين . أـفـلـام يـقلـلـ المـتـبـني يـذـمـ لـذـي الـزـمان أـهـليـه : «أـرب إـلا أـنـهم نـيـام » ؟ أـمـا أـلـاسـد فـحـسـبـ أنه في كـتب الـبـلـاغـة أـبـسـط شـواهد الـاستـعـارـة

نظام الدولة ومن قانون الغاب إلى سياسة التعاقد ومن الهمجية إلى المدنية . بعبارة أخرى ينتقل المجتمع من الحيوانية إلى الإنسانية . ومع تطور صورة المجتمع تتطور صورة الأبطال أنفسهم . فعندما كانوا حيواناً صرفاً أخذوا يتأنسون شيئاً فشيئاً . بالتشاور اكتسبوا عقلاً وبالتحاور منطقاً فتمت لهم خاصياتان من خاصيات الإنسان ولكنهم مع ذلك لم يكنوا عن كونهم حيوانات فما زال الأسد «إنك لا تصيد ..» والوحش وحشاً «جعلنا لك في كل يوم دابة ..» فالكلام في هذا المقطع على خلاف صورته في المقطع السابق ينقسم إلى سجلين حيواني وإنسي لا ندري أيهما الحقيقة وأيهما المجاز إذ يتوجه التشبيه بحكم الشكل من الإنسان إلى الحيوان وينعكس بحكم الأسلوب فيتجه من الحيوان إلى الإنسان . ثم باستمرار ذهاب وإياب بين العالمين في حركة دائيرية لا يستقر معها الكلام على الحقيقة ولا على المجاز .

بهذا يكن من أمر فإن حصل تغير فني شكل الهيمنة لا في الهيمنة ذاتها فما زال الأسد يسيطر على الوحش ولكن سيطرته انحدرت صورة حكم نظامي يضبطه اتفاق رسمي ويقوم على تبادل غير متكافئ للصالحة بين الطرفين : يغنم الوحش أمناً في مقابل «خراب» يؤدونه للأسد : دابة منهم يقدمونها طعاماً له في كل يوم ، ويذوم هذا الرفع مدة من الزمن بخصرها السرد في «ثم» .. وتطلق الحركة المضادة .

المقطع الثالث :

وهو ست جمل قصصية . أولها عملية قرعة تعقبها مفاوضة جديدة داخلية بين الوحش تقضي إلى معايدة ثانية تقضي الأولى . بهذا التامر على الأسد تبلغ الحركة المضادة نصفها وتكتمل بتنفيذ المخطط السري في ثلاثة عمليات : إبطاء ومخادعة وإيقاع .

خط ينقسم النص فيه على أساس الناظر بين المقاطع سكون وحركة بحركة . ومحور الناظر الهندي بين أجزاء النص هو معرج التناقض الجدللي بين الأبطال إذ عند هذا الحد ينتهي الصراع بين الوحش والأسد إلى نقطة الصفر فحلَّ الصلح محلَّ الحرب وعُوِّضت المطاردة الموجأ بنظام الأداء . ومن هذا الحد بعد ذلك يعود الصراع فينمو حتى يبلغ ذروته بمقتل الأسد . فالتركيب المقطعي مشدود إذ بمعنى جدل يتمثل في انقلاب الصراع بين طورين من الاستقرار إلى الانفجار فيقضي التقىض على التقىض وينتحق التجاوز نحو وضع جديد ينتفي فيه الصراع مع الأسد .

المقطع الأول :

ثلاث جمل قصصية تحدد الإطار وتعين الأبطال وتضبط العلاقة بين الأبطال وبينهم وبين الإطار .

الإطار دغل معطاء تفاصيل الوحش من خصب مراعيه فيقات الأسد من لحوم الوحش المخصبة . سلسلة الحياة في عالم الطبيعة . وبعطيانا كل هذا صورة من المجتمع الحيواني في محيطه الجغرافي وهسجاته الغزيرة حيث يفترس القرى الضعيف وحيث لا قانون إلا قانون الغاب . وهي صورة طبيعية واقعية من مجتمع الحيوان أم صورة رمزية لمجتمع الإنسان ؟ فالكلام في حكم الشكل مجاز وفي حكم الأسلوب داخل هذا المقطعحقيقة لأنه يخلو تماماً من كل استعارة وتتفق مفرداته جميعاً في الائتماء إلى سجل واحد ، سجل الحيوان . فكاناماً هو إخبار الواقع وليس إنشاء الخيال . وعلى هذا التحو يظل وضع الكلام في هذا المقطع معلقاً بين المجاز والحقيقة .

المقطع الثاني :

ثلاث جمل قصصية تجسم موافق ثلاثة يتم تحالها تحول المجتمع : المؤتمر ، المفاوضة ، العهد . فتغير صورة المجتمع من فوضى العنف إلى

القرعة :

تفرز من بين المجموعة ضحية اليوم وهي الأرنب . ومن طبيعة الأرنب أن تكون فريسة فداك قدرها . فيأتي حكم الصادفة موافقاً لحكم العادة . كل شيء إذن يعين الأرنب في دور الفدية . ولكن سرعان ما يحدث انقلاب ..

المفاؤضة :

تأخذ الأرنب فجأة في التحول إلى خلاف صورتها المهدودة . يصبح الحيوان الجبان رمز الشجاعة ، كان فدية فإذا هو فدائياً يتقطع لتخليص المجموعة ، بأي سلاح؟ خصوبة العقل أليس من صفات الأرنب أن تكون ولوداً فيها هي ذي ولود للحيلة؟ بهذه السلسلة من التحوّلات السريعة تصبح الأرنب بطلاً يمثل المجموعة بقدر ما يمتاز على سائر أفرادها بقوّة العقل وإرادة الفعل . فهو « حكيمها » فكر فاقتنتع و« زعيمها » بادر فطاوعت .. على شرط ألا ينالها ضرر ، حيثتها على قدر جسارة البطل ورهانها معه مربوح مسبقاً إن نجح غنمته معه حررتها وإن أخفق تعرضه وحده للهلاك . هذه صيغة الإنفاق بين المجموعة و« منكرها » تواظنه بالسكتوت ريشما ترى .. أما هو فله في رأسه خطة لا نعرف منها إلا عمليتها الأولى .

الإبطاء :

يبدأ الصراع بين الأرنب والأسد ويتحذل شكل البراز بين كائن سلاحه العقل وكائن سلاحه القوة . ومن بعيد يأخذ الضعيف في السيطرة على القوى يروض بطيشه بسياسة الحكمة وقد يرمي له من قبل وبدقّة عجيبة سائر الحركات التي يجب أن يائسها فتصيره إلى حتفه . تبكي الأرنب على الأسد حتى تفوت ساعة طعامه فيستشيط غضباً مضاعفاً غريزياً وسلطانياً . إذا جاء السبع فقد الخنزير وكشف عن مقالاته وإذا هاج الملك فقد البصر فخرقت أنفه . فهما نقطتنا الضعف في الأسد - الملك منها تناوله

الأرنب - الحكيم لنجعل من قوته ضعفاً ومن ضعفها قوّة . قصدت إلى إشارته حتى يترك اليقظة فلا يتبه للأخطار ونعمى بصيرته فلا يتقطن للمخادعة .

المخادعة :

بعد أن طار من الأسد صوابه حتى أصبح « لا يرى » تبادره الأرنب بالمخادعة فتُرِّيه ما تريده أن يرى : وهما يحسبه حقيقة . تزوج به في تمثيلية ينقلب معها عالمه إلى مسرح ظلال وقاعدة اللعبة أن تستبدل في كل مرة الواقع بالخيال . « إنني رسول الوحش .. » تسلّل من دور الصحبة لتتقمص دور المرافق . موهت حقيقتها على الأسد فصدق بالشبح واشقت من نفسها صورة وهيبة فما شئ أنها الحقيقة . طعامه أمامه واقع ملمسه ولكنه لا يراه وترىه الأرنب ظلّ طعامه في الأفق فيرى . وتستمرّ اللعبة فيتضاف إلى ظلّي الأرنب ظلّ الأسد : ضدّ له اخترعه عقل الأرنب ، ضدّ ينماز عه السلطة على تلك الأرض وقد يبدأ فأغار على الطعام يتجاهله . لا يكذب الأسد بشبحه كما لم يكذب من قبل بشبحي الأرنب وإنما يزداد غضباً على غضب . كل شيء قد يغترّ إلا منافساً يراجه فالملك لا يكون لإثنين . فلا بدّ من النزود عن مملكته ولا بدّ من مواجهة التحدّي . خبرة الأرنب بمنطق الملطان ، تعرف على أي الأزرار تضغط ليتحرّك الملك في الاتجاه المطلوب .

الإيقاع :

ينطلق الأسد تقدّمه الأرنب من ذقنه نحو خصمه المزعوم وطعامه الوهمي : صورته مع الأرنب في الجب يعكسها له صفاء الماء . سرّ المخطط إذن لعبه بالمرأة تصنع للأسد من ذاته ظلّ عدو . وفي حركة أخيرة تدفعه الأرنب إلى محاربة .. نفسه : « هذا الأسد وهذه الأرنب » فينقض الأسد بعنف فقتله الأرنب .. بعنف انتقامته . ما أشبه هذه الأرنب الهنديه ببطال المصارعة اليابانية يصرعون الخصم بقوّة انفعاعه . وفي ذلك متّهي السخرية .

د - الخاتمة .

يخضع النص شكلياً ودلالياً لجدلية واحدة تجري بين الحكمة والسلطان وقد تحكمت في نشأة كتاب كلية ودمته وما زالت عبره تحكم في مآلها . فهي جدلية الفيلسوف ييدبها الملك ديشليم وعن هذه الصورة الهندية تولدت صورة فارسية هي جدلية برزوية المنطبع مع كسرى وعن الصورة الفارسية تولدت صورة عربية هي جدلية المفكر عبد الله بن المقفع مع الخليفة المنصور وعن هذه الصورة العربية القديمة تولدت صور عربية حديثة هي جدلتنا عشر المتفقين مع سلطة الحكماء إلى أن يحل عهد الحكماء ، عهد الإنسان .

توفيق بكار

انعكست نسبة القوى بين الأرب والأسد كانت هي الضعف وهو القوة ولكنها بتدبر العقل عرفت كيف تقلب عليه بطشه فنفهه به . وبقضاء الصد على الصد تنهي جدلية الحكمة والسلطان فيقع التجاوز إلى جدلية جديدة .

المقطع الرابع :

وهو جملة قصصية واحدة ينطلق بها النص على داخله ... ليفتح على الخارج . قتل الأسد فنجت الأرب وأنجت الوحش ... « انتصر الحق وزهر الباطل ». زال الملك وبقيت المراعي الخصبة .. مشاعة بين أفراد المجموعة ؟ على القارئ أن يُكمل البقية .

ج - معنى المعنى :

إذا تأملنا أطوار النص وجدنا ثلاثة صور من المجتمع : مجتمع همجي شبه حيواني يسوده قانون الغاب ثم مجتمع متبدّل شبه إنساني تسوسه الدولة بتنظيم الهيئة والاستغلال ثم مجتمع مثالي في متاهي الإنسانية يحكمه العقل بمنطق العدل والحرية . الأول موجود والثاني موجود والثالث موعود . هكذا نمر خلال المثل ثلاثة عهود : بدائية ما قبل التاريخ ، حضارة التاريخ و ... الحلم بالمجتمع الأمثل في العصر الذهبي ، ماضي البشرية السحيق وحاضرها المستمر ومستقبلها يلوح في الأفق . العهد الأول والثاني واقع والعهد الثالث تخيل عنده يسمى العقل عمّا هو كائن ليتصور ما ينبغي أن يكون : « المدينة الفاضلة » و « القرية العادلة » و « المجتمع بلا دولة » ، أمنية واحدة تعددت صورها عبر العصور وما زالت الإنسانية تجتهد وتجاهد لتحقيقها . تلك حقيقة المثل خلال مجازه : ضرورة إحلال الحكمة محل « السلطان حتى تعوض عدالة العقل قهر الدولة فيكتف الإنسان عن أن يكون ذرياً - أو أبداً - للإنسان فيصير له أخاً .